معالم صورة المجتمع الفاضل فى ملحمة "الأعمال والأيام " لهسيودوس الأثر المصري على اليونان

د. احمد غانم حافظ احمد*

يأتى اختيار موضوع هذا البحث فى إطار مواكبة الدراسات الدولية والمحلية التى تعنى بدراسة نشأة المجتمعات الكلاسيكية وتطورها على الصعيدين الفكري والحضاري ، على أعتبار أن هذه المجتمعات بما قدمته من فكر تعد جزءا أساسيا من الهوية الفكرية لعدد غير قليل من المجتمعات المعاصرة ، وفى هذا الصدد نجد أن دراسة المجتمع الأثينى ونظيره الإسبرطي قد احتلت مرتبة الصدارة فى قائمة اهتمامات الباحثين فى حقلي كل من التاريخ والحضارة الإغريقية وذلك لقناعتهم بمدى أهمية إسهامات هذين المجتمعين فى الحضارة العالمية الحديثة أو لاعتقادهم الراسخ أن كثيرا من معالم التاريخ والحضارة الإغريقية إنما قد تكون نتيجة العلاقات بين هذين القطبين وأعنى " أثينا " و " اسبر طه " وهذا ما تدعمه الحقيقة التاريخية .

ويهدف هذا البحث إلى رصد تطور فكرى مجتمعي بعينه قد قام بتسجيله هسيودوس - الشاعر الملحمي التعليمي - بالمقارنة مثلا بفكر المجتمع الإغريقي الذى سجله سابقه " هوميروس " سواء من خلال " الإلياذة " أو " الأوديسية " وفى الواقع فأن المجتمع الإغريقي قد أثبت أنه كان قادرا على التكيف والتطور والتغيير وفق ما تفرضه عليه الظروف سواء فى الفترة التى كتب عنها هوميروس التى سجلت تفاصيل فكرية سادت أثناء " عصر الأبطال " أو فى الفترة التى كتب عنها هسيودوس التى شهدت فترة ظهور رؤساء الأسر الأرستقراطية و الذى وجه حديثه لهم بصفتهم οι Βασλλεις " الملوك " .

ولقد ظهرت عديد من الدراسات التى تناولت شخصية هسيودوس و أعماله بالبحث ، ومن هذه الدراسات ما يركز على جانب البراعة الأدبية فى أعماله [١] ومنها كذلك ما يركز على دراسة استخدامه لابتكاراته النظرية [٢] فى تصوير القوى التى تتحكم في كل من الطبيعة والبشر ، أو تناول مدلول الفساد السياسي الذى يعكسه الصراع

* مدرس بقسم الاثار والدراسات اليونانية والرومانية- كلية الاداب – جامعة الاسكندرية .

(1) Bowra C.M. , Ancient Greek Literature , Oxford university press , 1948, pp.40-7.

(2) Albrech Dihle , A History of Greek Literature from Homer to the Hellenistic period , trans.by Clare Krojzl , Routledge ,1994,p.22.

الذى نشب بينه وبين أخيه بسبب نجاح الأخير في رشوة القضاة ليحكموا له بالنصيب الأكبر من تركة والدهم [٣].

وسوف يحاول الباحث من خلال هذه الورقة أن يوضح معالم صورة المجتمع الفاضل كما رسمها هسيودوس وذلك فى فترة انتقالية هامة من تاريخ المجتمع الإغريقي وأعنى بها فترة ظهور طبقة جديدة فى توجهها نحو السعي وراء الثراء المادي – أيا كان مصدره – بهدف تحقيق مكاسب سياسية فى المقام الأول ، وذلك من خلال ملحمة (الأعمال والأيام) التى تحمل عديدا من الدروس الأخلاقية و التى حاول الشاعر أن يجعل منها قيما ثابتة للمجتمع [٤]

المعلم الأول : العمل تحت مظلة العدل

يعد العمل تحت مظلة العدالة أول معالم صورة المجتمع الفاضل عند هسيودوس ، ليؤكد على قيمة كل من العمل والعدل في دعم تقدم المجتمعات وتحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية ومبدأ تكافؤ الفرص .

ومن هذا المنطلق يضعنا هسيودوس منذ البداية أمام حقيقة هامة ، وهي أن العمل الصالح هو فقط ما يتسق والعدالة [٥] ويسوق لنا من الأمثلة ما يؤكد به على تلك الحقيقة ، حيث تنقسم أمثلته إلى ثلاثة أنواع : النوع الأول : تعبر عنه أمثلة مأخوذة من عالم الغيبيات (الأساطير) ، أما النوع الثاني فتعبر عنه أمثلة مستوحاة من عالم الحيوان ، والنوع الثالث والأخيرة فتعبر عنه أمثلة مأخوذة من الواقع الحياتي .

---

(3) Sinclair T.A ., A History of Greek Political Thought , Routledge ,1951,pp.19-20.
وعن فكره السياسي راجع : لطفي عبد الوهاب يحي ، اليونان مقدمة فى التاريخ الحضاري ، الإسكندرية ،دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٤ ، ص.ص٢٣٤-٢٣٩ .

(4) هناك دراسة طريفة تتحدث عن الحكم والأمثال عند هسيودوس وتقارن بينها وبين الأمثال عند العرب فى العصور القديمة ل:فكرية مصطفى صالح : الحكم والأمثال واستخداماتها عند هسيودوس ، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية ، الكتاب السنوي الثالث ، القاهرة ، ١٩٨٨، ص.ص.٣٥-٥٦ .

(5) Hesiod , Τα Εργα και Αι Ημεραι , ll.213-16 .LCL.
وقد تحدث أستاذنا لطفي عبد الوهاب يحي عن هذه الفكرة تفصيلا وذلك فى مجال عرضه تاريخ تطور الفكر السياسي اليوناني،حيث خلص بعد هذه الفكرة إلي أن أدباء هذا العصر ويمثلهم هسيودوس رأوا أن هناك ضرورة للعيش في مجتمع وصفة بالطيب راجع : لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

أما بشأن أمثلة النوع الأول المأخوذة من عالم الأساطير والتي تحث على ضرورة ارتباط العمل بالعدالة ، نجد أنه يعبر عنها من خلال مثل يمكن استنتاجه من خلال قصة صراع زيوس – كبير الآلهة والبشر – مع بروميثيوس سارق النار (٦) ، وفى هذا المثل يؤكد هسيودوس على أن العمل الصالح هو ما يتسق والعدالة مهما سمت ونبلت أهدافه ، حيث يورد القصة المشهورة التى تروى سرقة بروميثيوس للنار المقدسة من فوق جبل الأوليمبوس وأعطائه إياها للبشر .

ويحاول الباحث من خلال هذا المثال توضيح عدة أمور

الأمر الأول: قيمة العمل تحت مظلة العدل فى المفهوم الأسطوري القديم حيث يؤكد هسيودوس على غضب الآلهة من البشر العازفين عن العمل أو حتى المتواكلين منهم عليها اعتمادا على ما لديها من خيرات ، وهنا يمكن أن نلاحظ أن للآلهة أهدافا نبيلة تتمثل فى دفع البشر وحثهم على العمل فهو سر البقاء .ولأن الآلهة ذات دور تعليمي وتوجيهي فمن ثم كان لزاما على البشر أن يدركوا أن عليهم أن يعملوا من أجل الحصول على ما يرغبون وألا يستولوا عليه ، لأنه من جهة لن يصبح بمقدورهم التمتع بما استولوا عليه ، ومن جهة أخرى لن يستطيعوا الحفاظ عليه طويلا . ولأن السرقة تعد عملا لا يتسق والعدل – حسب مفهوم الآلهة – فقد أستحق البشر العقاب ، وهذا ما ندركه من حديث زيوس لبروميثيوس الذى يقول فيه :

" ... يا بن يابيتوس Iapetus تجاوزا منك فى براعة للجميع ، فقد تسعد بأن خدعتني واستوليت على النار ، ولسوف ينالك وبنى جنسك منى بلاء عظيم ، وسوف أجازي البشر على النار التى أخذوها بشيء هو كره لهم وستسعد له قلوبهم غير مدركين أنهم إنما يتقبلون بذلك هلاكهم بسعادة .. " (١٠)

... Ιαπετιονιδη , παντων περι μηδεα ειδως , Χαιρεις πυρ κλεψας και εμας φρενας ηπεροπευσας , σοι τ αυτω μεγα πημα και ανδρασιν εσσομενοισιν τοις δ εγω αντι πυρος δωσω κακον, ω κεν απαντες τερπωνται κατα θυμον εον κακον αμφαγαπωντες ....

ويدلل هسيودوس على أن هناك إجماعا عاما بين الآلهة بشأن ضرورة العمل من أجل تقدم وتحضر المجتمع وإعلاء قيمة العدل بين البشر ، ويظهر تعاونا بين الآلهة فى معاقبة البشر جزاء تواكلهم ، وقبولهم التمتع بما لا يحق لهم ويقدم الشاعر هذا التصور

(6) Idem , ll. 54- 59 .
(10) Idem ., ll.54 –59.

على شكل قصة الفتاة باندورا Πανδωρα التى جلبت الشرور للبشر . وفى هذه القصة نجد هيفايستوس يقوم بخلط التراب بالماء ووضع صوت وقوة الجنس البشرى فى هذا الخليط ، وكان الناتج فتاة ذات مظهر جميل أشبه بربة خالدة فى ملامح الوجه وذلك تمشيا مع أوامر زيوس .

Ως εφατ . εκ δ εγελασσε πατηρ ανδρων τε θεων τε .Ηφαιστον δ

εκελευσε περικλυτον οττι ταχιστα γαιαν υδει φυρειν , εν δ ανθρωπου θεμεν αυδην και σθε νος αθανατης δε θεης εις ωπα εισκειν ....[11]

ونجد الربة أثينة تعلم تلك الفتاة أعمال الحياكة وغزل الخيوط

Αυταρ Αθηνην εργα διδασκησαι, πολυδαιδαλον ιστον υφαινειν

أما أفروديتى الذهبية Χρυσεη Αφροδιτη فقد نثرت على رأسها حسنا وجمالا وأضفت عليها رغبة شديدة جامحة وسيقان متناسقة ، وكذلك أمر هرميس – المرشد – سفاح أرجوس أن يضع فيها عقلا جامحا لا يعرف الخجل وطبعا مخادعا ، وعندما أمر زيوس أطاعه الجميع فخرجت إلى الوجود فتاة من أجمل الفتيات كما رغبها زيوس بن كرونوس ، وإذا بأثينة –ذات الأعين اللامعة – تتولى مهمة تنظيفها واختيار ملابسها واضعة العقود الذهبية على شعرها كما زينت التاج الذى وضعته على شعرها بأزهار ربيعية ، وعلمها المرشد عددا من الكلمات ولكن هذه الفتاة حملت كل الشرور للبشر عقابا لهم على قبول ما ليس من حقهم وما لم يكدوا من أجل الحصول عليه إذ لا ترضى الآلهة عن سارق ، وبالتالي فلا حق للبشر أن يقبلوا بوجود السارق وأفعاله التى قد تضر بهم رغم ظاهرية وعدم ديمومة نفعها .

أما الأمر الثاني التى يحاول الباحث توضيحه من خلال هذا المثال هو نسبية مفهوم العدالة في الفكر اليوناني ، فمن خلال عرض قصة بروميثيوس نعرف أن البشر قد رأوا أن احتفاظ الآلهة بالنار المقدسة يعد – من وجهة نظرهم – عملا لا يتسق ومفهوم العدل ، فهم أيضا فى حاجة للنار ولا يصح أن تصبح حكرا على الآلهة دون البشر ، ومن جهة أخرى نجد أن الآلهة تعتبر سرقة النار وهى إحدى الميزات التى تختص بها عملا لا يتسق والعدل ، ولعلها كانت ترغب فى اختبار البشر ومدى مثابرتهم من أجل

(11) Idem ., ll.,59- 62 .

التغلب على مشكلة الحاجة إلى النار وهكذا يصبح ما هو تمام العدل بالنسبة للآلهة وهو عين الظلم بالنسبة للبشر [١٢]

وأما بشأن ما يتعلق بالنوع الثاني من الأمثلة والمأخوذة من عالم الحيوان فهو ما يمكن التعرف عليه من قصة الصقر والكروان التي عمد فيها هسيودوس إلى نوع من الإسقاط الاجتماعي من خلال ما يحدث فى عالم الحيوان على عالم البشر [١٣] ، فكلاهما يفتقر إلى الحكمة العقلية والحكم المنطقي ويعلى من راية المبدأ القائل بأن البقاء للأقوى .

وفى هذا المثال نجد الشاعر يصور موقفا طبيعيا بالنسبة لما يحدث فى عالم الحيوان ولكنه فى سياق الفكرة – التى ربما كانت مقصودة – يصبح بالنسبة للباحث موقفا غير طبيعيا ، حيث صور هسيودوس صقرا (ليرمز به للقوة) ينقض علي كروان (و يرمز به للضعف) و هنا ربما أراد هسيودوس – تمشيا مع المعلم الأول لصورة المجتمع الفاضل – أن يوضح للبشر أنه لا يجب عليهم الإتيان بأفعال إنما تصدر فقط عن الحيوان ، فالانقضاض و السطو باستعمال العنف و القوة هو أيضا عمل لا يتسق و العدالة و لا يصح أن يصدر عن بشر عاقل و ذلك لما له من آثار سيئة علي مجتمع البشر العاقل إذ ينطق هسيودوس الصقر بكلمات [١٤] يفهم منها الآثار السيئة لمثل هذه الممارسة قائلا :

" .... أحمق من يحاول أن يواجه الأقوى منه فهو لا يملك السيادة ، كما أنه يعاني الألم إضافة إلي العار(الخجل) .... "

ويتحدث هسيودوس هنا عن حقوق الإنسان الطبيعية و التي تكفلها له الآلهة التي لا ترضي بضياع الحقوق و من بينها إمكانية تعايش الضعيف مع القوي في مجتمع واحد دون تعدي أي منهما علي حقوق الآخر .

وإن ضياع حقوق الضعيف و إن كان في صالح القوي فإنه خطر يهدد بناء المجتمع ككل من حيث أن ذلك يقضي علي ما للضعيف من سيادة – علي مقدرات نفسه

---

[12] ينسب هذا الرأي إلى أ.د محمد السيد عبد الغني أستاذ التاريخ اليوناني والروماني بآداب الإسكندرية ،وقد أفاد به الباحث بعد مناقشة هذه الورقة مع سيادته قبل إلقائها .

[13] Hesiod , op.cit., ll.207- 11.

[14] Idem., ll.210-12.

علي الأقل - ، كما أنه سيجعله في شعور دائم بالألم الناتج عن ضعفه و لكلاهما نتيجة واحدة هي ضياع الكرامة و المعاناة من العار ، و هى عوامل إذا تضافرت تصبح كفيلة بتهديد استقرار المجتمع علي جميع المستويات .

فمثلا على المستوي الاجتماعي لن يتوافر عنصر الوفاق الطبقي ، وأما على المستوى السياسي فسوف يكون هناك قطعا نوع من التوتر بسبب توجه أولئك الضعفاء إلى الساسة وأولي الأمر باحثين عن الأمان لديهم من منطلق أنهم هم المنوطون بتوفيره ، وعلى المستوي الاقتصادي فسوف تقل قيمة العمل طالما غابت العدالة لترتفع فى المقابل قيم أقل وأضعف لا ترتقى بالمجتمع ولا تحقق له الصورة الفاضلة المنشودة .

وأخيرا نأتي إلى النوع الثالث والأخير وهو المثل الذى ساقه هسيودوس من خلال الحياة اليومية العملية للواقع الحياتي والتى تركز على أهمية قيمة العمل وفق العدالة ، ويجد الباحث فى هذا المثل أهمية خاصة لعدة أسباب:

أولها : بسبب معاصرة الشاعر للأحداث التى كتب عنها ، وثانيها : لأنه يعبر عن تجربة شخصية عاشها الشاعر بنفسه .

ويقصد بالمثل هنا قصة استيلاء أخيه بيرسيس Περσης على النصيب الأكبر من إرث الوالد ، وقد روى هسيودوس تفاصيل هذه القصة فى ملحمته الأعمال والأيام حيث يبدو غير راض فيها عن أفعال أخيه قائلا له :

... " لأننا قد قسمنا الإرث بالفعل ، لكن قمت أنت بالاستيلاء على النصيب الأكبر احتفظت به لنفسك ، لقد تمتع سادتنا المرتشين الناهبين بمجد فى تزايد متعاظم وهم الذين أرادوا الفصل فى هذه القضية ، أنهم حمقى إذ لا يعرفون كيف تكون القسمة العادلة بين اثنين ولا حتى ما هي الأهمية القصوى لطعام الفقير ..... " (١٥)

....ηδη μεν γαρ κληρον εδασσαμεθ , αλλα τα πολλα αρπαζων εφορεις μεγα κυδαινων βασιληας δωροφαγους , οι τηνδε δικην εθελουσι δικασσαι νηπιοι , ουδε ισασιν οσω πλεον ημισυ παντος ουδ οσον εν μαλαχη τε και ασφοδελω μεγ ονειαρ ....

يعبر الشاعر هنا عن مبدأ ضرورة اتساق العمل مع العدل ، ونجد هنا أن الشاعر يوجه رسالته تلك ليس فقط إلى العامة من المحكومين ، ولكن أيضا يوجهها إلى الخاصة من السادة الذين كانت لهم صلاحية الفصل فى المنازعات والذين بات ينظر

(15) Idem ., ll.37-41 .

إليهم فى تلك الفترة على أنهم بمثابة حكام (**) ، وفى هذا الصدد يقدم هسيودوس لمستمعيه مقارنة بين نوعين من المجتمعات النوع الأول : مجتمع يعمل تحت مظلة العدل ، و النوع الثاني : مجتمع يعمل فى ظل غياب العدل .

أما بالنسبة للطراز الأول وهو المجتمع الذى يعمل تحت مظلة العدالة ، فقد أوضح هسيودوس أن هذا المجتمع يتمتع بالازدهار ، و الذى تتمثل معالمه فى رخاء المدينة وسكانها كما أن السلام η ερηνη سيعم أرجاءها وبذلك تسنح الفرصة لتنشئة الأطفال ، كما أن زيوس – الذى يرى كل شيء – لن يقرر أبدا ضدهم أي حرب ، ولن تضرب المجاعة ولا الكوارث السكان الذين يحرصون على ممارسة العدالة ، وسوف يرعون حقولهم بقلوب مستنيرة ، فتهب لهم الأرض وفرة فى الزاد ، وعلى قمم الجبال سيثمر شجر البلوط ، وسوف ترعى ماشيتهم ويزداد فروها ولحومها ، وستنجب نساؤهم الأطفال كما أنجب آباؤهم من قبل ، وسوف يستمر انتعاش المدينة بشكل متواصل ، ولن يكون السكان فى حاجة إلى ركوب البحر من أجل الحصول على الحبوب إذ ستهب لهم الأرض ثمارها (١٦)

الملاحظ هنا من خلال الاقتباس السابق من قصيدة هسيودوس محل الدراسة ، أن الحديث يدور حول فئة معينة من البشر وهى الفئة التى تتحرى العدل مع الغرباء والأهل على حد سواء ، ونجد هسيودوس فى مجال تأكيده على مدى حرص تلك الفئة على ممارسة العدل يورد كلمة الغرباء οι ξενοι قبل كلمة الأهل οι ενδημοι ولعل فى ذلك تأكيدا منهم على تحرى العدل حتى مع الغرباء أو الضيوف ، وهذا يحمل مضمون اتباعهم نفس المبدأ بالضرورة مع الأهل أو السكان المحليين ، وربما أراد بهذا أن يعلمنا بشكل غير مباشر أن من لا يتبع العدل لن يتبعه لا مع الغريب ولا حتى مع الأهل .

(**) لقد شهد المجتمع الإغريقي تطورا سياسيا وذلك بعد ضعف الدور الذى كان يقوم به الملوك فى الدويلات المختلفة ، وبعد استنفاذ الملوك لدورهم بات طبيعيا أن تطفو طموحات أصحاب الأراضي الزراعية أو الرعوية على السطح بهدف الحصول على ما للملك من صلاحيات وكانت دعواهم أنهم ذو قوة اقتصادية تضاهى قوة الملوك- وربما زادت عنها فى أحيان كثيرة وأنهم أصحاب الجياد التى تلزم لرعاية تلك القوة الاقتصادية والدفاع العسكري عنها إذا لزم الأمر ، وكان الإغريق فى تلك الفترة من تاريخهم السياسي يرون فى القوة الاقتصادية خير حاكم ومرد ذلك بلا شك هو ضعف الموارد الاقتصادية فى بلاد الإغريق في تلك الفترة ، ويصبح طبيعيا أن يعتبر العامة الأغنياء سادة لهم فهم مصدر رزقهم الأساسي . راجع : لطفي عبد الوهاب يحيي ، نفس المرجع السابق ، ص. ص.١٠٩-١١٠ . ، وكذا حسين أحمد الشيخ ، اليونان ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، ٢٠٠٥ ، ص. ص ٢٠-٢٥ .

(16) Hesiod , op.cit, ll.225- 237 .

ويوضح لنا هسيودوس فى جلاء آثار اتباع تلك الفئة أو مثل هذا الطراز المجتمعي للعدل فى العمل ، حيث ينعكس ذلك أولا فى كسب مرضاة الآلهة وعلى رأسهم أبو الآلهة والبشر زيوس ، ذلك الرضا الذى سينعكس على المجتمع فى صور شتى ، منها أن تنعم الآلهة على المدينة التى يقوم عليها هذا المجتمع بالرخاء والسلام ، هذا السلام هو الذى يسمح لهم برعاية حقولهم بقلوب مستنيرة وهذا ما ينتج عنه أن يحصدوا ثمار عملهم – الذى هو متسق مع العدل الذى ترضى عنه الآلهة – بوفرة ملحوظة ، كما أن أغنامهم سوف تزيد لحومها وأصوافها ، ومن آثار السلام الذى سوف تغدقه الآلهة أن تنعم على النساء بالخصوبة كما أنعمت على الأرض وما عليها من ماشية ، وبالتالي سوف تتوافر الأيدي العاملة التى ستنعم بالعمل فى سلام وتجنى ثمار عملها وفقا لمعايير عادلة .

أما بالنسبة للطراز الثاني من المجتمعات التى تحدث عنها هسيودوس فهو المجتمع الذى يتفشى فيه الظلم والعنف بين أفراده حيث يقول بشأنه ... " أما أولئك الذين يمارسون الظلم والأعمال الشريرة فقد أعد لهم زيوس عقابا . وفى الغالب فإن المدينة كلها تعانى لأجل ما أقترفه إنسان سيئ من خطيئة وأفعال سيئة ، حيث يغضب ابن كرونوس على السكان ويرسل إليهم المجاعة والمرض معا λιμον ομου και λοιμον ، لذلك يهلك السكان ، ولا تحمل نساؤهم أطفالا ουδε γυναικες τικτουσιν ، وتصبح منازلهم قليلة العدد μινυθουσι δε οικοι ، ويواجهون صراعا مع زيوس الأوليمبي Ζηνος Ολυμπιου φραδμοσυνησιν ، وفى وقت آخر إما أن يدمر بن كرونوس جيشهم العرمرم أو أسوار مدنهم أو سفنهم الموجودة فى البحر .[١٧]

Αλλοτε δ αυτε η των γε στρατον ευρυν απωλεσεν η ο γε τειχος η νεας εν ποντω Κρονιδης αποαινυται αυτων.

ويعرض هسيودوس آثار غضب الآلهة على المجتمع الذى لا يعمل وفقا للعدالة موجها حديثه إلى أخيه ، وينهى حديثه بتوجيه النصح والإرشاد إلى الحكام من رؤساء العشائر والعائلات والذين يدعوهم بالملوك أو الأمراء حيث يقول لهم ..." أيها الملوك عليكم أن تتحروا تلك العدالة جيدا لأن الآلهة الخالدة قريبة من البشر وتلاحظ كل أولئك الذين يحكمون بقرارات قضائية جائرة ، فلا تثيروا غضب الآلهة ، لأن زيوس لديه ثلاثون ألفا من الأرواح الذين يقومون بمراقبة البشر ، وأولئك يراقبون الأحكام القضائية وأفعال المخطئين .... "[١٨]

(17) Idem ., ll.245-247.
(18) Idem ., ll.248-255.

وهنا يحدد هسيودوس فى هذا المثل اتجاهين للعمل وفقا للعدالة .

الاتجاه الأول : اتجاه اجتماعي وفيه نجد الدعوة إلى أن يتعامل الأهل فيما بينهم بنوع من العدل حتى لا يجور أحد منهم على حق الآخر وهنا يعطي هسيودوس مثالا على ما حدث بينه وبين أخيه الذى جار بالفعل على حقه فى الميراث مما ترتب عليه أن عاش هسيودوس حياة شاقة يعاني الجوع والألم بينما تمتع أخوه – دون وجه حق – برغد العيش .

أما الاتجاه الثاني : فهو الاتجاه السياسي وفيه نجد هسيودوس يتسع بنطاق دعوته ليصل بها إلى أولي الأمر ، من منطلق أنهم المسئولون عن المجتمع واستقرار طبقاته بفضل اتباعهم العدل الذى ترعاه الآلهة وتحرص عليه ، حيث يوضح لهم ضرورة أن يتوخوا العدل فى جميع أعمالهم ، لأن هذا هو السبيل الوحيد التى يتجنبوا بها غضبة الآلهة ، ومن جهة أخرى يوضح هسيودوس لأولى الأمر أن كل ما قد يفعلوه من أمور مخالفة للعدل سعيا وراء السلطة والجاه والنفوذ هي نفسها تصبح سبب دمارهم فتصيبهم المجاعات وتقل خصوبة الأرض والنساء ، كما يكون مصير سفنهم وهى أحد مصادر رزقهم إلى زوال . وهنا يؤكد هسيودوس على أحقية تطلع البشر إلى الأفضل لكن بشرط أن يكون السبيل إلى تحقيقه أخلاقيا ، وتأكيدا على هذه الأهمية الأخلاقية نجد هسيودوس يوجه حديثا لأخيه يقول فيه : ..." الشر يسهل الوصول إليه وفى أسراب والطريق إليه ممهد ، كما إنه قريب جدا منا ، أما الخير فقد وضعته الآلهة كأفضل ما يمكن أن تصل إليه أيدينا وطريقه طويلة شاقة فى البداية ، وعندما يصل المرء إليه يدرك مدى سهولته التى كان يعتقد فيما قبل فى عكسها ... " (١٩)

وفى تأكيد آخر يقول .... " الثروة لا تسلب ، والثروة التى ينعم بها الإله على المرء أفضل بكثير من ثروة عظيمة قد يستولي عليها المرء بالقوة والضغط .. ، ومن يفعل ذلك فكأنه نهر ضيفا له أو طالبا لعون ، أو كمن خان أخاه فى الفراش الزوجية وارتكب خطيئة ضد الطبيعة بمعاشرة زوجة أخيه ، أو كمن عامل أطفالا أيتاما بقسوة ، أو كمن ضايق والده وهو فى سن حرجة بكلمات قاسية ... " (٢٠)

إن الحديث الذى وجهه هسيودوس إلى أولى الأمر من رؤساء الأسر والعشائر الأرستقراطية لا يخلو من دلالات سياسية يرى الباحث أنها ذات صلة وثيقة بمعالم

(19) Idem., ll.286-292 .
(20) Idem., ll.320-330.

صورة المجتمع الفاضل ، فالفترة التى ينتمي إليها هسيودوس هي التى شهدت ضعف النظام الملكي فى دولة المدينة η πολις بعد أن استنفذ مبررات وجوده ، كما شهدت صعود تلك الطبقة الجديدة التى بدأت تتطلع نحو ممارسة دور سياسي مماثل لنفس دور الملوك .

وفيما يبدو أن هذه الطبقة وهى بصدد دعم سلطتها الاقتصادية وصولا للفوز بكل الصلاحيات السياسية لم تكن تمانع من أن تأتى بأي فعل – عادل كان أم غير عادل – يدر عليها دخلا يسهم فى دعم قوتها الاقتصادية ، وهذا ما يمكن التعرف عليه من رواية هسيودوس بشأن قبول القضاة – الذين كانوا بالضرورة من بين صفوف الطبقة الأرستقراطية – رشوة أخيه . ذلك الفعل الذى اتخذته السلطة السياسية والذي كان غير عادل أنعكس بدوره على ظلم أحد أبناء المجتمع ، وعموما فيمكن للباحث أن يتخذ من هذا التصرف قرينا يؤكد به على تدهور أوضاع العامة فى ظل السيطرة الأرستقراطية الجديدة والذي لم يشمل فقط المستوي الاجتماعي ولكن أيضا المستوي الاقتصادي [٢١]

أما على المستوي الاجتماعي فقد عبر لنا هسيودوس عن القهر الذى عانت منه طبقة العامة التى أعتبر نفسه واحدا من بين صفوفها ، إذ حاول الأرستقراطيون وهم المسيطرون على الشئون القضائية أن يخفوا القوانين التى كان يحكمون بمقتضاها على طبقة العامة ، واحتفظوا بحق معرفتها لأنفسهم فقط ، وحين قرروا إعلان القوانين بمساعدة دراكون Dracon ليعلم العامة مواقع أقدامهم لم يلتزموا بتطبيق هذه القوانين تطبيقا سليما برغم قسوتها على طبقة العامة ، و ها هو هسيودوس يصور فساد الهيئة القضائية الأرستقراطية التى قبلت الرشوة التى قدمها بيرسيس فأفسدت بذلك العلاقة الاجتماعية بين الأخ وأخيه [٢٢]

(21) Maria S.Marsilio, Farming and Poetry in Hesiod s Works and Days , university press of America,2000,p.3.

(22) P.E.Easterling & B.M .W.Kenox , The Cambridge History of classical Literature , Early Greek Poetry , vol. I , part I , Cambridge univ.press, 1989 ,p.56.

المعلم الثانى : ترسيخ العلاقات الطيبة بين سكان المجتمع

يأتى ترسيخ العلاقات الطيبة بين سكان المجتمع ليصبح ثاني معالم صورة المجتمع الفاضل عند هسيودوس ، وفى هذا الصدد نجد هسيودوس فى مجال توجيه النصح لأخيه يفرق بين نمطين من السكان النمط الأول: هو المتجاورون أما الثاني فهو: غير المتجاورين .

وسوف نتعرض الآن لهذه العلاقات كما ظهرت من خلال ملحمة هسيودوس محل البحث

(١) علاقــة التشـــاور

يبدأ هسيودوس بالحديث عن أول علاقة يجب أن تربط سكان المجتمع الفاضل سواء أكانوا متجاورين أم غير متجاورين ، وقد رأى أن المجتمع الفاضل كي يكون مجتمعا خيرا فيجب أن تسوده الشورى " ... الخير من يستمع لنصيحة الخير ، أما من لا يفكر إلا فى نفسه ولا يستمع إلى ما يقوله له الآخر فهو شخص تعس ... " [٢٣]

يؤكد هسيودوس على فضيلة التشاور وعلى أن الشورى من فعل الأخيار، وذلك لأن الشورى فى المجتمع تزيد من تفاعل الأفراد كما تزيد من ارتباطهم ، فبالتشاور يستطيع المجتمع إدراك عيوبه ومشاكله بدلا من تعمد تجاهلها مما يتسبب فى تفاقم المشكلات وتعذر إيجاد حلول لها ، فالتشاور يوفر تبادل الخبرات والانفتاح على الآخر مما يساعد كثيرا فى حل مشكلات المجتمع كما أن التشاور لابد وأن يحدث بشكل عملي ودون الاقتصار فقط على المناداة بمبدأ الشورى فيجب على الأفراد الاستماع إلى نصيحة أصحاب الخبرة والعلم ، وإلا سيتحول المجتمع إلى مجموعة من النفعيين الذين يسعون فقط وراء تحقيق مصالحهم .

لقد ربط هسيودوس ربطا مباشرا بين الشورى وتحقق السعادة للمجتمع ، وربما كان المقصود بالسعادة هنا الرخاء الاجتماعي الناجم عن الاستقرار والتفاهم بين غالبية عناصر المجتمع ، ومن جهة أخرى يمكن أن يفسر مبدأ الشورى على إنه مبدأ سياسي ربما قصد هسيودوس به توجيه رسالة غير مباشرة إلى أولى الأمر من الأرستقراطيين يدعوهم فيها إلى اتباع منهج الشورى سواء بين بعضهم البعض أو بينهم وبين الرعية ، وربما أراد هسيودوس أن يقول أن اتباع منهج الشورى من شأنه إسعاد كل من الحكام (الأرستقراطيين) والمحكومين (العامة)

---

(23) Hesiod , op.cit., ll.295-97.

(٢) حسـن الجـوار

العلاقـة الثانيـة التـى رأى هسـيودوس ضـرورة ترسـيخها بـين سـكان المجتمـع الفاضل وخصوصـا بين الأصدقاء والجيران هـي علاقـة حسن الجوار ومراعـاة حقوق الجار وهنا نجد هسيودوس يقول ناصحا مستمعيه " ... أدع الصديق للعيد ، وأترك العدو وحيدا ، وأدع من يسكنون بالقرب منك بشكل خاص ، إذ لو أصابك مكروه سيأتي إليك جارك على عجل دون أن يحزم ملابسه αζωστοι ، أما الأقارب فيأتون بعد أن يضيعوا الوقت بالاستعداد للخروج ... " (٢٤)

يدعو هسيودوس سكان المجتمع من خلال الاقتباس السابق إلى نـوع من الإخـاء يتفاعل بفضله الأصدقاء ويتحاب عن طريقه الأهل والجيران ، إذ يرسـي هسيودوس دعائم العلاقات الطيبة بين الأصدقاء ويدعو إلى ضرورة الاختلاط بدلا من الانعزال ، فعلى الأصدقاء أن يتزاوروا بما يتيح الاندماج المطلوب لحدوث التفاهم الذى ينشأ عنه نوع من وحدة الأهداف والشعور بوحدة المصير مما يزيد من قوة البناء الاجتماعي من جهة ، ومن جهة أخري سوف تنعكس هذه القوة على علاقة الأفراد بالمجتمع الذين يحيون فى إطاره إذ سيرتبط الأفراد بالأرض وبالجنس الذين ينتمون إليه بنوع من الولاء

يتضح هنا إذن أثر حسن الجوار على الأفراد وعلى المجتمع (الدولة) فى وحدة النسيج الاجتماعي و فى زيادة ولاء الأفراد لمجتمعهم وجنسهم الذين ينتمون إليه ، وهو أثر مطلوب تحقيقه والشعور به فى مختلف المجتمعات الإغريقية إذا ما ذكرت النزعة الانفصالية التى طالما ميزت تاريخ الإغريق ، والتي كان لها أثرها ليس فقط على علاقة الأفراد ببعضهم البعض ولكن أيضا على بلاد الإغريق ككل فيما عرف بنظام دولة المدينة أو الـ η πολις

وفى مجال تأكيد هسيودوس على أهمية العلاقات بين الجيران ، نجده يفرق نوعين من الجيران وهم : الجار الطيب والجار السيئ ، ويبدى رأيا واضحا فى كليهما حين يقول :

" ... الجار السيئ بلاء عظيم كما أن الجار الطيب نعمة كبيرة ، ومن ينعم بجار طيب فهو يملك شيئا فريدا ... " (٢٥)

(24) Idem ., ll.342-345.
(25) Idem ., ll. 346-350.

يوضح هسيودوس قيمة الجار الطيب بالنسبة لجاره ويقارن بينه وبين الجار السيئ ، حيث يوضح أن حتى الثور إذا أصيب بجار سيئ فسوف يرغب فى التخلص من حياته ، كما يؤكد هسيودوس على ضرورة استعانة الجار بجاره لكن على أساس من العدل وليس الاستغلال فيمكن أن يأخذ الجار من جاره مكيالا ولكن على أن يرده بالعدل وهذا ما يحقق التكافل فى المجتمع .

(٣) الاحترام والتراحم

أما فيما يخص الحديث عن جانب العلاقات الاجتماعية الطيبة بين الأهل فقد ورد تفصيل الصورة كاملة عند شاعرنا ، وذلك حينما يتحدث عن العصور البشرية ، وكيف أن البشرية قد تدرجت فى انحدار ملحوظ من العصر الذهبي Χρυσεον إلى العصر الفضي Αργυρεον ثم للعصر البرونزي Χαλκειον ، وكيف حدثت للبشرية ثورة فشهدت عصر عرف بعصر البشر الأبطال Ανδρων ηρωων θειον γενος وأخيرا يأتى العصر الخامس ، الذى شهد الجيل الذى عاش فيه هسيودوس نفسه و الذى أسماه بعصر الحديد γενος εστι σιδηρεον وقد وجه إليه هسيودوس قدرا كبيرا من النقد لكنه نقد بناء فى وجهة نظر الباحث .

وسوف نعرض بداية جزءا من النقد الذى وجهه هسيودوس إلى جيل عصر الحديد ، وهو الجزء الذى يخدم الفكرة ، ثم سيتناول بعد ذلك هذا النقد بالدراسة والتعليق

يقول هسيودوس عن الجيل الخامس Πεμπτον γενος :

" .... (فى هذا الجيل) لا يكون الأب على وفاق مع أبنائه ، وبالمثل لا يكون الأبناء على وفاق مع والدهم ، كما لا يكون الضيف على وفاق مع مضيفه ولا الزميل مع زميله ، كما لا يصبح الأخ عزيزا عند أخيه كما كان فى السابق ، كما أصبح الأبناء يحقرون من شأن آبائهم بمجرد بلوغهم الكبر، وكذا أصبحوا يعيبون عليهم بأقذع الكلمات ، لقد أصبحت قلوبهم قاسية ، ولأنهم لا يعرفون مخافة الآلهة ، فلا نجدهم يعوضون آبائهم ما تكلفوه من مشقة رعايتهم معتبرين ذلك حقا لهم ، كما سينهب الواحد منهم الآخر ... "
(٢٦)

ويركز هسيودوس فى الاقتباس على الأسرة على أعتبار أنها نواة المجتمع ، وربما رأى أن صلاح المجتمع إنما يبدأ من صلاح الأسرة ، ويلاحظ أنه دائما ما تكون هناك حاجة ما ملحة لدراسة نظام الأسرة خاصة فى المجتمعات التى تواجه بعض المشكلات الاجتماعية التى ربما تكون – من وجهة نظر الباحث – ذات مردود سياسي واقتصادي ، وذلك من منطلق أن المجتمع يشكل وحدة واحدة من مجموعة عناصر

(26) Idem ., ll.182-189 .

سياسية واقتصادية واجتماعية كل منها يؤثر فى الآخر ويتأثر بالضرورة به ، ولعل مؤلف سينثيا ب . باتيرسون الذى جاء بعنوان

" الأسرة فى تاريخ اليونان " يعد من أهم الدراسات فى هذا المجال [٢٧]

ويشير الشاعر إلى الأسرة فى عصر الحديد فيصفها بأنها أسرة مفككة فقدت عنصرين أساسيين من العناصر التى تحكم العلاقات البشرية السوية وهما الاحترام والتراحم ، فلم يعد الأب على وفاق مع أبنائه ولم يعد الأبناء على وفاق مع آبائهم ، كما فقد الأخوة دفء العلاقات المفروض أنها تربط بينهم ، فلم يعد الأخ حريصا على صالح أخيه ، وراح كل يعمل على الحفاظ فقط على أسباب استمراره وبقائه بغض النظر عن قيمة الأخوة وما يكتنفها من قيم جميلة كالحب والاحترام والتضحية ، ويبدو أن الشاعر قد عمد إلى ذكر الأب بالتحديد وعلاقته بأبنائه وعلاقة الأبناء به ، دون التعليق على موقف الأم ، ذلك لأن الأب هو عماد الأسرة وأساسها وأي ضعف أو خلل يصيب الأسرة يعنى خلل البناء كله .

لقد فقد أفراد الأسرة الحب الذى يولد الاحترام η τιμη ، ونتج عن ذلك أن لم يعد الأبناء يأبهون لكبر سن الآباء ففقد الآباء احترام الأبناء ، وكذلك فقدوا كل مشاعر الحب التى كان يكنها الأبناء لآبائهم منذ العصر البطولى (الملكي) .

ويعتبر هسيودوس أول من تحدث عن الحب το Ερως ، فيذكره بوصفه أصلا من الأصول التى وجد بسببها العالم ، فقدم ثلاثة آلهة أزلية متناهية فى القدم وهم : خاؤؤس ο Χαος و الأرض η Γη والحب το Ερως ، وقد تأثر بهذه الفكرة الكثير من الشعراء بعد هسيودوس ، ويتضح ذلك من شعر كسينوفانيس حيث دلل على أهمية الحب فى قصيدته الغنائية (الطيور) مستشهدا بهسيودوس فى تقديمه لتلك الآلهة [٢٨] .

ويقدم هسيودوس بالمثل فى قصيدته انساب الآلهة η Θεογονια بداية معالجة لأصل العالم جاعلا من الحب واحدا من أقدم وأعظم الآلهة ، معادلا للأرض والسماء ، أول زوجين تزاوجا بفعل تأثيره ، وربما فكر هسيودوس تفكيرا منطقيا عندما أستنتج أنه طالما كان الأمر كذلك فأن الحب الذى هو سبب تألفهما وجميع أبنائهما فيما بعد لا يمكن

---

[27] Cynthia B. Patterson , The Family In Greek History , Harvard university press, 1998. حيث ناقشت عدد من قضايا المجتمع اليوناني مثل وضع الأسرة عند هوميروس وهسيودوس ، وكذا موقف الأسرة من القانون اليوناني المبكر ، وقضية الزواج والزنا فى أثينا فى القرن الخامس ، وكيف نظر كل من المجتمع والقانون إلى قضايا الزنا .

[28] عبد المعطي شعراوى ، أساطير إغريقية ، الجزء الأول ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،١٩٩٢، ص١٤، ١٧ .

إلا أن يكون أجدر من هذه القوى الطبيعية و التى هي فى نفس الوقت آلهة مشخصة بصفة الألوهية ، فهو إله من أقدم الآلهة [٢٩] ويتضح ذلك من خلال الأبيات التالية :

...Hδ ερως , ος καλλιστος εν αθαντοισι , λυσιμελης , παντων τε θεων παντων τ ανθρωπων δαμναται εν στηθεσσι νοον και επιφφονα βουλην..

" ... الحب أجمل بين الآلهة الخالدين ، يحل الأطراف ، فهو يضع العقل والمشورة (النصيحة) الحكيمة فى صدر كل من الآلهة والبشر ... " [٣٠] .

هذا وقد رأى الكاتب والفيلسوف الفرنسي لويس مينار Louis Menard أن هسيودوس لم يقصد إلا التعبير عن الحكمة الإلهية بطريقة شعرية، فخضوع الإله للحب معناه أن لأفعاله غاية أو حكمة يرمى إليها [٣١] وعندما يفقد الأبناء حبهم لآبائهم ، فلن يتورعوا حينئذ عن احتقار وتسفيه آرائهم ، بدعوى أنهم بلغوا سنا يفتقدون معها أهلية التفكير المنطقي، و بالتالي فإن ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على غياب التراحم بين الأبناء والآباء ، فلن يرحم الشاب والده المسن الضعيف ، كما لن يسلم الآباء من النقد اللاذع للأبناء .

وفى الواقع فإن القارئ يستطيع أن يحلل وبوضوح معالم تلك الصورة القاسية التى يعكسها هسيودوس عن أبناء الجيل الخامس – جيل عصر الحديد – ليصل إلى ما يوده الشاعر من عرض لمظاهر عقوق الأبناء ، ومنها أنهم نسوا فضل الآباء عليهم وهم سبب وجودهم ، وسبب قوتهم الجسمانية بفضل ما بذلوه فى السابق من كد فى سبيل تربيتهم ورعايتهم ، وبرغم ذلك ، أعتبر الأبناء أن هذه هي مهمة الآباء الأساسية وأنهم إنما قاموا بواجبهم الطبيعي ، وأن ما حصل عليه الأبناء هو حق طبيعي كفلته لهم ضرورة استمرار الحياة وتعاقب الأجيال .

وهكذا أورد الباحث معلمين من معالم صورة المجتمع الفا ضل فى فترة تاريخية هامة مر بها المجتمع وهى فترة ضعف النظام الملكي وبداية النظام الأرستقراطي ، ويمكن من خلال المعالم السابقة التعرف إلى عدد من المتغيرات الاجتماعية التى أصابت المجتمع استجابة منه للمتغيرات السياسية الجديدة ، ونأتي الآن للمعلم الثالث والأخير من

---

(29) David A. & Camphell , The Golden Lyre , N.Y., Duck Worth press , 1983,p.3.

(30) Hesiod , η Θεογονια ,LCL.ll.120- 2.

(31) محمد غنيمى هلال ، الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،١٩٦٠، ص ٢٢٧ .

هبة ربيع أحمد ، مفهوم الأيروس το Ερως فى فلسفة أفلاطون ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، قسم الفلسفة ،٢٠٠٥ ، ص.ص٧-٨ .

معالم صورة المجتمع الفاضل عند هسيودوس وهو ضرورة تحديد طبيعة دور المرأة فى المجتمع .

المعلم الثالث : ضرورة تحديد طبيعة دور المرأة

لقد أشتهر هسيودوس بعدائه نحو المرأة وذلك ما تقر به معظم الدراسات التى تناولته ومن بين هذه الدراسات دراسة للكاتبة سينثيا ب. باتيرسون التى سبق للباحث أن أشار إليها فى معرض سابق ، ورغم أن هذه الدراسات ومن بينها دراسة باتيرسون قد أجمعت على موقف هسيودوس العدائي تجاه المرأة ، إلا أن تناول باتيرسون لهذا العداء جاء يتميز بالموضوعية الشديدة رغم كونها امرأة .

فنجد باتيرسون تستهل حديثها فى هذا الصدد بموافقة تامة على موقف هسيودوس تجاه المرأة وتلت هذه الموافقة تبريرا لموقف هسيودوس حيث نجدها تقول " لقد عرف هسيودوس بعدائه للمرأة ، وليس هناك أدنى خطأ فى وجهة نظره القائلة بأن المرأة شيء سيئ [٣٢] ، ومع ذلك فأن هذا السوء يكون لذيذا ومؤلما لأن المرأة دائما ما يكون مرغوبا فيها فهي " الشر الجميل " و " الخداع المطلق " ، وبسبب دورها الضروري فى العائلة فلا يمكن الاستغناء عنها مطلقا .

ويود الباحث فى الواقع أن يختلف مع الرأي السائد بين الدارسين وتحديدا فيما يخص موقف هسيودوس من المرأة ، حيث يرى الباحث أن هسيودوس كان فى الواقع فى صف المرأة ، ونادى بعدد من حقوقها التى يحاول المستنيرون الآن فى الدول المتقدمة والنامية إبرازها ، وسوف يسوق الباحث عددا من الأدلة على صحة رأيه ، يأتى فى مقدمة هذه الأدلة رأى هسيودوس الصريح فى المرأة (الصالحة) وهو بصدد توجيه المجتمع إلى قيمة العطاء حيث يقول نصا ... " أعط من يعطى ولا تعط لمن لا يعطى .. فالعطية كالفتاة الصالحة .." [٣٣]

Και δομεν , ος κεν δω , και μη δομεν , ος κεν μη δω , δως αγαθη

من خلال الاقتباس السابق مباشرة يمكن إدراك حقيقة صورة المرأة فى ذهن هسيودوس ، إذ قرن الشاعر فى صورة جمالية بين قيمة العطاء وبين قيمة المرأة فيشبه العطية بالفتاة الصالحة ، ولعلة رأى أن الفتاة الصالحة كالهدية أو العطية الثمينة فى قيمتها .

---

[32] Hesiod , Τα Εργα και Αι Ημεραι , l.57., η Θεογονια , l.602. حيث يشير فى كلا العملين إلى البانـــــــــــــــــــــــــــــــدورا .

[33] Idem., Τα Εργα και Αι Ημεραι , l.354,356 .

وبالمثل وفى إطار حرص هسيودوس على وضع المرأة فى المجتمع اليوناني نجده يعمل فكره من أجل تحديد السن المناسبة للزواج ، والأكثر من ذلك قد يعد هسيودوس من رواد الدعاة إلى الزواج وتكوين أسرة ذات أساس سليم ، ويمكن معرفة ذلك من خلال الاقتباس التالي من حديث هسيودوس حيث يقول : ..." احضر إلى المنزل زوجة ، عندما تبلغ السن المناسبة ، عندما تكون قد قاربت الثلاثين أو تخطيتها قليلا ، فهذه هي السن المناسبة للزواج ، ولتدع المرأة تصل لعامها الرابع والثلاثين ثم تتزوجها إذا ما بلغت الخامسة والثلاثين ، تزوج من عذراء حتى تستطيع تعليمها ، وعلى وجه الخصوص تزوج من فتاة تعيش فى الجوار ..، المرء لا يفوز بشيء أفضل من زوجة صالحة ، كما انه لا يفوز بشيء أسوأ من زوجة طالحة..." (٣٤) .

من خلال الاقتباس السابق تتضح صورة المرأة فى ذهن هسيودوس وإلى أي مدى كان حريصا على استقرارها فى بيت الزوجية ، لدرجة أنه يحدد لها وللزوج السن المناسبة لاتمام الزواج بغض النظر عن موافقة الباحث أو عدم موافقته عليه.

كما تتضح أيضا طبيعة العلاقة التى يجب أن تربط الزوج بزوجه ، ويشير الاقتباس إلى علاقة المودة التى يبرهن عليها حرص الزوج على تعليم زوجه العذراء بعض الأخلاقيات الضرورية لإنجاح الحياة الأسرية بينهما .

ويوصى هسيودوس أيضا الرجل باختيار زوجه معروف له سلوكها وأسلوب تنشئتها ويفضل أن تكون من الجيران ، وينهى الشاعر حديثه فى تلك الجزئية باعتراف فحواه أن الزوجة الصالحة كسب عظيم لزوجها بل هي أفضل ما يمكن أن يفوز به ، هكذا ومن العرض السابق يمكن للباحث أن يرى أن هسيودوس كان منصفا للمرأة مقدرا لدورها وقيمتها لزوجها وللمجتمع حينما تكون صالحة وذلك على العكس تماما مما ألصق به من تهمة عدائه للمرأة .

أما السؤال المنطقي الذى يفرض نفسه الآن فهو على أية أساس اتهم هسيودوس بهذه التهمة ؟

وللإجابة على هذا السؤال يجدر عرض بعض سطور من حديث هسيودوس نفسه وهي فى الغالب التى بنى عليها أغلب الدارسين ومنهم باتيرسون اتهامهم له بعدائه للمرأة وهى كالتالي ".... لا تدع امرأة متباهية تلاطفك وتحتال عليك بالخداع ، أنها (تسعى) وراء مخزن الغلال الذى تملكه ، فالرجل الذى يثق بجنس النساء يثق بالمخادعين ... " (٣٥)

(34) Idem., ll.695-700, 702-3 .
(35) Idem ., ll.373-375 .

Μη δε γυνη σε νοον πυγοστολος εξαπατατω αιμυλα κωτιλλουσα , τεην διφωσα καλιην . ος δε γυναικι πεποιθε , πεποιθ ο γε φηλητησιν .

يتحدث هسيودوس هنا عن نوع معين من النساء وهو المخادعات المتباهيات وليس كل النساء وهذا النوع هو الذى حذر منه هسيودوس دون التعرض لكل النساء فهو لم يستعمل الصفة اليونانية πασαι التى تعنى كل (النساء) ، كما أنه حين تحدث عن هذا النوع من النساء تعمد استعمال صيغة المفرد فلم يستعمل الاسم الجمع γυναικες التى تعنى (النساء، الزوجات).

وفى تحليل باتيرسون لسبب هذا العداء نجد أنها ترده إلى عامل اقتصادي فى الأساس حيث رأت أن الزوجة η γυνη إنما هي شريك ومنافس قوى فى الوقت ذاته وذلك لما لها من اهتمامات اقتصادية فهي وراء مخزن الحبوب [٣٦] فنجد أنها تتمتع بعقل ذو أهداف واضحة ، وفى تحليل باتيرسون تنتهي بالإضافة إلى أن المنافسة التى تؤدى فى أغلب الآحايين إلى القسوة ربما كانت وراء موقف هسيودوس و اتفقت بدورها مع هسيودوس فى أن ذلك أمرا طبيعيا على أساس أن المنافسة والقسوة يعدان من ملامح الحياة البشرية الأساسية وفى الواقع فإن تحليل باتيرسون والنتائج التى توصلت إليها، على الرغم من وجاهتها ، إلا أن الباحث يرى أنها يمكن الرد عليها ، ويتمثل هذا الرد فى أن موقف هسيودوس من سعى المرأة وراء الاهتمامات الاقتصادية التى راحت معظم شرائح المجتمع فى الواقع تسعى وراءها ربما يأتى فى ظل حرص هسيودوس على وضع المرأة فى المجتمع اليوناني كزوجة وأم ، وربما رغب فى أن تظل محتفظة ببريقها وجمالها بعيدا عن السعي وراء الثروة لما يشمله هذا السعي من مشقة أرتضى الزوج أن يتحملها لأجلها ولأجل نفسه وأطفاله إن وجدوا ، كما أن المنافسة داخل إطار الأسرة الواحدة أمر من شأنه أن يكرس النزعة الفردية فى الفكر اليوناني على الصعيد الاجتماعي (ومن ثم على الصعيد السياسي) وهو أمر لا يرغبه هسيودوس الذى يحرص على الأسرة وينصح بأتباع القيم الأصيلة .

وتبقى فى نهاية البحث نقطة مقارنة يدعم الباحث بها حديثه عن موضوع البحث وذلك بعد أن أوضح الباحث فيما سبق معالم صورة المجتمع الفاضل فى ملحمة (الأعمال والأيام) للشاعر التعليمي اليوناني هسيودوس .

وفى هذا الصدد فمن الطريف أن نجد لهذه المعالم مشابها فى المجتمع المصري القديم وذلك فى كتابات الحكيم المصري إيبو- ور ، حيث يتبادر إلى الذهن على الفور ما كان يسديه هذا الحكيم المصري من نصح وإرشاد بغية صلاح المجتمع الذى سادته الفوضى ، ويود الباحث أن يربط فى هذا الصدد بين الظروف السياسية التى مر بها المجتمع

(36) Cynthia B. Patterson , op.cit., pp.62-3.

اليوناني التى كانت دون شك ذات صلة بالتغيير الاجتماعي الذى صوره لنا هسيودوس فى قصيدته محل الدراسة مما دفع به إلى وضع صورة كاملة لأركان المجتمع الفاضل فى شكل تعاليم، وبين حالة الفوضى التى عمت مصر فى أعقاب اضطرابات الثورة الاجتماعية التى شهدتها البلاد مع نهاية الدولة القديمة وإبان مرحلة الانتقال الأولى حوالي ٢١٩٠-٢٠٧٠ ، التى أشعرت الحكيم إيبو- ور وغيره من المفكرين الاجتماعيين فى ذلك العصر بأهمية الحاجة إلى وجود حاكم عادل .

وكان من بين الحكماء الذين يتطلعون إلى وجود مثل هذا الملك العادل الحكيم إيبو-ور ، وقد كتب مقالا هدف فيه إلي تصوير انقلاب الأوضاع حيث ينتقل من خلال النص الذى كتبه من اليأس ، الذى يسهب النص فى التعبير عنه ، إلى التحسر على التوازن المفقود للمملكة المستقرة ، ثم الأمل فى مستقبل يكفل العودة إلى الحياة المعتادة والمحبوبة على شطآن النيل

(٣٧) ، إذ يقدم إيبو- ور فى تعاليمه عددا من التعاليم التى شابهتها تعاليم هسيودوس إلى حد كبير مما أوحى للباحث بمدى تأثر الفكر اليوناني بنظيره المصري .

وسوف نسوق بعضا من الأمثلة من تلك التى وردت فى بردية الحكيم إيبو- ور (٣٨)

و التى رأى أنها تتشابه – إلى حد كبير – مع ما عبر عنه هسيودوس فى قصيدته الأعمال والأيام (٣٩) ومنها قوله :

---

(37) من المؤسف أن هذا النص شديد التشويه وبدايته ونهايته مفقودتان حاليا ، كما تعانى بعض المقاطع من فجوات خطيرة راجع : كلير لالويت ، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ، المجلد الأول
(عن الفراعنة والبشر) ، ترجمة : ماهر جويجاتى ، مراجعة د.طاهر عبد الحكيم ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع بالتعاون مع اليونسكو ، ١٩٨٤، ص.٢٩١.

(38) الوثيقة المذكورة تعد من أهم الوثائق من بين كل المقالات الاجتماعية والخلقية التى كتبت فى ذلك العهد الإقطاعي ويستحسن البعض تسميتها (تحذيرات المتنبئ إيبو-ور) ، و ملخصها هو أن الحكيم إيبو-ور يقوم بإلقاء اتهام طويل مفعم بالغضب علي حالة عصره أمام حضرة الملك (غير معروف اسمه للآن) ، و ينتهي بإسداء النصح لقومه فيحذرهم الإهمال و يدعوهم إلي الصلاح . راجع : سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة ، الأدب المصري القديم ، الجزء السابع عشر ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٩٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٩ .

(39) ظهرت دراسة قيمة على شبكة الإنترنت تقابل بين الفكر المصري فى أدب الحكم من خلال تعاليم كل من أنى وأمنحتب وبين الفكر العبري من خلال كتابه المقدس وبين الفكر اليوناني من خلال تعاليم هسيودوس التى وردت فى ملحمته الأعمال والأيام ، وقد جاءت هذه الدراسة بعنوان Selections From Egyptian and Hebrew wisdom Literature ويمكن الاطلاع عليها من خلال الدخول على الموقع التالي :

www.utexas.edu/courses/clubmed/wisdomgde.ht

.. " فالرجل يذبح أخاه من أمه . فما العمل فى ذلك ؟

.. أنظر إن الرجل يذبح بجوار أخيه فيتركه وحيدا لينجى بنفسه .

.. الرجل ينظر لأبنه نظره لعدوه ..."

وقوله فى مجال التعبير عن الانحطاط الأخلاقي :

... " المتحلي بالفضائل يسير وهو محزون ، ويقول الرجل الأحمق ، إذا عرفت أين يوجد الإله فأنى أقدم له قربانا ، وفى الحق كانت العدالة موجودة فى الأرض باسمها ، وما يفعله الناس حينما يلتجئون إليها هو العسف .. ، وفى الحق لقد أصبحت الأرض تدور كعجلة صانع الفخار . ونظام البلاد قد قلب رأسا على عقب فمن كان لصا صار رب ثروة ، والغنى صار إذ ذاك إنسانا منهوبا .. "

من خلال الأسطر السابقة التى اقتبسها الباحث من خلال ما ورد فى بردية الحكيم إيبو-ور يتضح مدى تأثر الفكر الاجتماعي اليوناني بالفكر المصري القديم [٤٠]، الذى يمثله لدينا فكر الحكيم إيبو- ور . وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك من الباحثين من يرى أن تعاليم إيبو- ور بما تشمله من فكر إنما هي أقدم فى الواقع من التعاليم المعزوة لامنمحات [٤١] ، ووجه التأثر هنا فى وجهة نظر الباحث ، هو اعتماد هسيودوس تصوير مثالب المجتمع محاولة منه لإيجاد نوع من الحل للمشكلات التى برزت على سطح المجتمع وهى نفس الطريق التى اتبعها إيبو-ور ، وللأسف الشديد ، ففي حالة إيبو- ور لم تساعد حالة النص الموجود (المنشور) الباحث على اقتفاء أثر الحلول التى قدمها إيبو-ور للمجتمع فى فترته التى ينتمي إليها .

ولذا فيجد الباحث نفسه – فى ضوء ما توافر له من معلومات – قانعا بمقابلة ظروف المجتمع المصري القديم فى ظل العصر الإقطاعي بعد سقوط الدولة القديمة بظروف المجتمع اليوناني فى ظل العصر الأرستقراطي بعد سقوط النظام الملكي فى بلاد اليونان

---

[40] هناك فى البردية ذاتها دليل على اتصال تجارى قديم كان قائما بين مصر واليونان فى تلك الفترة ، ويمكن أن يكون هذا الاتصال سببا فى تعرف الإغريق على الفكر المصري وتأثرهم به ، حيث نجد إيبو –ور يقول : ..." لا يبحر أحد إلى بيبلوس هذه الأيام ، كيف سنتصرف للحصول على خشب الأرز من أجل مومياواتنا ؟ إن الكهنة يدفنون مع منتجاتهم فحسب . والأثرياء يدفنون مع زيت ورد من أماكن قصية ، مثل جزيرة كريت ، ولكنهم لا يعودون أبدا .. " راجع : كلير لالويت ، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ، المجلد الأول (عن الفراعنة والبشر) ، مرجع سابق ، ص . ٢٩٤

[41] سليم حسن ، نفس المرجع السابق ، ص. ٢٩٤

بهدف توضيح الأثر السيئ لتحكم الفئة الثرية فى المجتمع فى مقدرات المجتمع بأسره ((**)

هذا وتبقى للباحث كلمة أخيرة ، وهى أن تصور الكتاب شعراء كانوا أم حكماء لمعالم مجتمع فاضل أنما هو أمر يرتبط أساسا و ظروف المجتمعات التى عاشوا فى ظلها ، كما يتوقف شكل هذا التصور على مدى ارتباطهم و أفراد هذا المجتمع أو ذاك بالعقائد الدينية وهذا ما يؤكده الكاتب تشارلز فريمان أحد ألمع المشتغلين بمجال تاريخ الحضارات ، حيث رأى أن تصور هسيودوس لمعالم المجتمع الفاضل يعزو إلى شدة إيمانه الشخصي بالآلهة في حين كانت هناك نسبة من المجتمع لا تأبه لأمر الآلهة ((٤٢

.

(**) رغم أن هذه النتيجة تدعمها الحقائق التاريخية سواء على الجانب المصري أو اليوناني إلا أن الباحث يود أن يستثنى من تلك النتيجة فترة الحكم الأوليجركي فى بلاد اليونان والتي تلت العصر الأرستقراطي ، حيث أنه على الرغم من أن أفراده كانوا من الأقلية التجارية الثرية ، إلا انهم استطاعوا اجتذاب عدد كبير من أبناء طبقة العامة ، وربما كان الصراع بين الأرستقراطيين والأوليجركيين على الحكم هو الذى خدم طبقة العامة ، لكن هذا لا ينفى حقيقة الاستثناء .

(42) Charles Freeman , Egypt , Greece and Rome : Civilizations of the Ancient Mediterranean , N.Y., Oxford university ,1996 , pp.393- 4 .

Sources

1- Hesiod , Homeric Hymns Epic , cycle homerica , LCL , 1998.

References

1- Albrech Dihle , A History of Greek Literature from Homer to the Hellenistic Period , trans. By Clare Krojzl , Routledge ,1994.

2- Bowra C.M , Ancient Greek Literature , Oxford university press, 1948.

3- Charles Freeman , Egypt , Greece and Rome : Civilizations of the Ancient Mediterranean , New York , Oxford university press, 1996.

4- Cynthia B. Patterson , The Family In Greek History , Harvard university press, 1998.

5- David A. & Camphell , The Golden Lyre , New York , Duck Worth

press , 1983 .

6- Easterling P.E & Kenox B.M.W , The Cambridge History of Classical

Literature : Early Greek Poetry , vol. I , part I , Cambridge university

Press , 1989 .

7- Maria S. Marsilio , Farming & Poetry in Hesiod's Works and Days ,

university press of America ,2000 .

8- Sinclair T.A, A History of the Greek Political Thought , Routledge ,

1951.